



الإسلام من القرآن

د. أيمن محمد

لماذا الإسلام من القرآن؟

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا [الكهف-54]

عنوان هذا الكتاب يقول بوضوح إنه عن معرفة الإسلام من القرآن. وعنوان الكتاب واضح من البداية لأن هذا الكتاب يخاطب القاريء المهتم بمعرفة الإسلام من القرآن. هذا الكتاب لا يخاطب من لا يهمهم معرفة الإسلام من القرآن ويظنون أنه ليس في الإمكان أحسن مما كان وأنه لا مجال للاجتهاد لتحسين فهمنا للقرآن باستمرار.

قد يعتقد بعض الناس أنهم يعلمون كل شيء عن الإسلام والقرآن. و لذلك في المقدمة أحب ان أبدأ بأمثلة بسيطة تدحض هذا الاعتقاد. على سبيل المثال كلنا سمعنا عن المنظمة المسماة بالقاعدة. ومن المعتاد أن نرى بعض الناس وخاصة بعض الذين يعتقدون أنهم يعلمون كل شيء عن الإسلام والقرآن يمجدون جماعة القاعدة ويبدون إعجابهم بها وبزعمائها مثل الظواهري وبن لادن و يعتبرونها رمزا للجهاد في سبيل الله. و أتباع القاعدة يقولون إنهم يؤمنون بالقرآن. و لذلك دعونا نبحث عن كلمة "القاعدة" في سياق الجهاد كما وردت في القرآن ، في أشكالها المختلفة، ونقرأ الآيات التي وردت فيها. الآية 95 في سورة النساء تشير إلى مجموعتين: مجموعة "المجاهدين" ، ومجموعة "القاعدين":

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا [النساء-95]

كما نري من الآية الكريمة فإن الجماعة "القاعدة" هي عكس الجماعة "المجاهدة". ونري مزيدا من التأكيد على هذا المعني في آيات كثيرة تتناول المنافقين من الفئة القاعدة التي تتصنع الجهاد:

وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ [التوبة-46]

فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذِنُواكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ [التوبة-83]

الفئة القاعدة هي هؤلاء المنافقين الذين يتصنعون أنهم يجاهدون، بينما هم في الواقع "قاعدون" عن الجهاد. إذا المنظمة التي تدعي أنها المجاهدة، هي في الواقع اعترفت على نفسها أنها المنافقة "القاعدة" باختيارها هذا الاسم و كشفت جهلها بمعنى هذا المصطلح في سياق الجهاد في القرآن الكريم.

وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَحْنُ مَعَ الْقَاعِدِينَ [التوبة-86]

وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذِنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [التوبة-90]

كما نرى فإن هذا الاسم لا يصف فقط الجماعة المنافقة القاعدة لكن أيضا التي كذبت الله ورسوله! أنا أكاد أجزم أن الذين أطلقوا اسم القاعدة على الجماعة وأتباعهم لا يفهمون القرآن ولا اللغة العربية، ومصابون بنفس مرض القاعدين المنافقين من قوم موسى:

قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ [المائدة-24]

من خلال هذا المثال البسيط نجد أن القعود في سياق الجهاد أمر مذموم وأن الجماعة القاعدة هي عكس الجماعة المجاهدة. إذا كيف يدعي هؤلاء أنهم الجماعة المجاهدة و هم اختاروا لأنفسهم اسم القاعدة؟؟ و للأسف ملايين من الناس بمن فيهم من يدعون أنهم علماء السنة أو الشيعة لا يعلمون هذه الحقيقة. لهذه الدرجة وصل الجهل بكتاب الله و أبسط معاني اللغة العربية!

و جذور منظمة القاعدة تنتمي إلى ظاهرة جديدة انتشرت في السنوات الأخيرة يطلق عليها الحركة السلفية، وأتباعها يسمون أنفسهم السلفيين. و لعل الكثير من العقلاء يستعجبون كيف أن السلفيين يدعون أنهم ليسوا أهل بدعة على الرغم من أن مصطلح "السلفيين" نفسه لم يرد في القرآن أو حتى في كتب الحديث كلها أبدا و لكنه مصطلح عصري. و هناك مصطلحات أخرى مستمدة من نفس الجذر في القرآن و لكن هذه المصطلحات تعطي انطباعا لا يتفق مع ما يهدف إليه مبتدع اسم السلفيين. على وجه التحديد هذا ما نجده عندما نبحث عن كلمة "سلف" في القرآن:

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا
إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا
سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [البقرة-275]

وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ [النساء-22]

وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ [النساء-23]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ
النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدِيًّا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةً طَعَامًا مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا
لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ [المائدة-
95]

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُعْفَرِ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ
[الأنفال-38]

كما نرى بكل وضوح فإن مصطلح "سلف" في القرآن دائما يشير إلى أمر قبيح و مذموم
مضى. و تحديدا نرى الآيات البيّنات دائما تربط السلف بعادات قبيحة و مذمومة و محرمة
مثل الربا و نكاح ما نكح الأب من نساء و الجمع بين الأختين و انتهاك حرّامات الله و ما فعله
الذين كفروا من كفر. هل هي مجرد مصادفة أن جميع الآيات التي ذكر فيها مصطلح "سلف"
في القرآن بلا استثناء أجمعت على ربط هذا المصطلح بأمر قبيح و مذموم مضى؟

بالإضافة إلى ذلك فإن الله سبحانه و تعالى يصف قوم فرعون الفاسقين بالسلف:

وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا
تُبْصِرُونَ
أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ
فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ
فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ
فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ
فَجَعَلْنَاهُمْ سُلْفًا وَمِثْلًا لِّلْآخِرِينَ [الزخف-51-56]

وبمراجعة قاموس مقياس اللغة أو أي قاموس لغة عربية فصحي نجد أن كلمة سلف تدل على الشيء الذي مضى. وهذا ليس فيه اختلاف من الناحية اللغوية والمنطقية. وحتى علماء أهل السنة كانوا يعلمون ذلك. ولذلك عندما تحدثوا عن سلف محدد أسموه "السلف الصالح". لماذا أسموه سلف صالح؟ لأنهم يعلمون أن هناك سلف فاسد وهو الذي ذكره القرآن في كل استخدامه لكلمة "سلف" ولذلك لزم التصنيف. أما مصطلح "السلفيين" بالتحديد فهو بدعة لا وجود لها في القرآن ولا في كتب الحديث كلها سواء عند السنة أو الشيعة.

السؤال الذي يطرح نفسه هو من الذي ابتدع مصطلح السلفيين؟ في الواقع الذي ابتدع هذا المصطلح هم الوهابيون. والوهابية في الأصل هي حركة سياسية حديثة مناهضة للخلافة العثمانية قامت على يد محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود. وشنت الوهابية سلسلة من الحروب التي قتلوا فيها العديد من المسلمين، الأمر الذي جعل العديد من شيوخ السنة يرى في محمد بن عبد الوهاب ومريديه مواصلة لطريقة الخوارج، بينما يرى الوهابية أنهم هم أهل السنة الحقيقيون وهم الفرقة الوحيدة الناجية من النار ومن خالفهم كافر. ونتج عن هذه الحروب قيام الدولة السعودية الأولى. وفي عام 1818 دمرت القوات المصرية بقيادة إبراهيم باشا الدولة السعودية الأولى.

كل ما في الأمر هو أن الوهابيين إسمهم لم يكن مقبولا من الناس خارج السعودية لأنه يفضح حقيقتهم كمنظمة سياسية حديثة قامت على سفك الدماء تنتمي إلى محمد بن عبد الوهاب. و لذلك غيروا إسمهم إلى "السلفيين" كحيلة تسويقية لكي يجذبوا الناس بطريقة أفضل خاصة خارج السعودية.

هذا المثال يبين جانبا من البدع الدخيلة على الإسلام وكيف أن القرآن بكل بساطة يكشف لنا حقيقة تلك البدع و يفضح مبتدعيها وأتباعهم. والغرض من المثال هو التوضيح بأنه من خلال الواقع الملموس العملي يمكن أن نستخلص أن أغلب الناس يجهلون الإسلام من القرآن. وهذا الجهل و ابتداع الباطل يحدث أمام أعيننا حتى في زمننا الذي هو زمن المعلومات حيث يسهل التحقق من صحة أو بطلان أي معلومة. و لذلك لا يجب علينا أن نتعجب من أن الغالبية العظمى من الناس لا يعرفون عن الإسلام من القرآن ولذلك لزم تقديم هذا الموضوع من خلال هذا الكتاب المبسط.